



البحث الأول

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية / كلية الآداب

• الرصافي

• اسمه

• وظاته

النقد الاجتماعي في ديوان الرصافي

إعداد الطالبين

طارق صبار محسين

صلاح حسن مایع

• الها

• الها

• الها

• الها

• النقد الاجتماعي

بأشراف

د . زينب

• اسمه :

المعروف عبد الغني الرصافي .

• ولادته :

ولد الشاعر معروف عبد الغني الرصافي في محله القراغول ببغداد في سنة (١٢٩١هـ) الموافق سنة (١٨٧٥م) من اب كردي يدعى (عبد الغني محمود) من عشيرة الجبارية التي تسكن ما بين كركوك والسليمانية ، وام عربية الاصل (فاطمة بنت جاسم) ^(١).

• حياته :

(ولما بلغ الثالثة اولت دراسته امة الى احد الكتاتيب لتعلم مبادى القراءة والخط وضل ينتقل من كتاب الى اخر حتى وصل الى ارقاها وهو كتاب الاكتاب لا يقبل فيه الا من ختم القرآن من التلاميذ وكان صاحبة يدرس دروسا ارقى من سائر الكتاتيب ويتمتع بامتياز خاص وهو ان الذي ينهي دروسه فيه يخول الدخول في الصف الاول من المدرسة الرشيدية العسكرية وبعد سنتين من دراستين دخل تلك المدرسة واجتاز صفين منها ووقف في الثالث وتركها واتجه نحو المدارس الدينية ودرس فيها العلوم الدينية والادبية واللغوية وانتسب الى مدرسة شيخه (محمود شكري الالوسي) ولازمه اكثر من اثنى عشر سنة واخذ العلوم العربية وآدابها ودرس عند غيره علوما كثيرة وآخرى كالفقه والمنطق ونحوها ، ثم عين معلما الى احدى المدارس الابتدائية في بغداد ومنها عين مدرسا للغة العربية في المدرسة الاعدادية وبعد اعلن الدستور العثماني دعا صاحب جريدة (اقدام) التركية لتولى الكتابة في الجريدة التي عزم على اصدارها باللغة العربية ، ولما ذهب الى استاذه قد اثنى عن عزمه مغادرة الى بغداد ثم دعى الى بغداد للاستعانة بدریس اللغة العربية في المدرسة الملكية الشاهانية وليقوم بالكتابة في مجلة)^(٢)

(١) مجمع الشعراء العراقيين ، وينظر : مقدمة الديوان ، ص ٤٠١ .
(٢) ديوان الرصافي ، ١

• اثاره :

- ١- نفع الطيب في الكتابة والخطب .
- ٢- كتابة دروس في أدب اللغة العربية .
- ٣- الاناشيد المدرسية ^(١) .

• وفاته :

وسكن الاعظمية وفيها توفى صباح الجمعة السادس عشر من اذار (مارس) سنة ^(٢) ١٩٤٥ م .

• الحالة السياسية :

خضع العراق للسيطرة العثمانية قرابة اربع قرون فقد استولى السلطان (مراد علي) الحكم وعاد حكم الدولة العثمانية وبقي العراق ولاية تابعة حتى عام (١٩١٨م) وتعاقب على حكمه عدد من الولاة ثم اختيارهم من السلطة العليا في الاستانه ^(٣). فكان لهذا الاحتلال اثار سلبية على العراق من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية ... لخ .

فقد قام هؤلاء الولاة بجمع الاموال من الناس بكافة الوسائل وفرض الضرائب واغتصاب الاموال واجبارهم على العمل من غير مقابل فكان ذلك من اساليب فرض السلطة وتسلیب الارادة ، فهجر الناس وخصوصا الفقراء منهم وكانت تجبي الاموال بقوة السلاح مما يؤدي الى حدوث ثورات ورفض هذه الاساليب ولكنها تردع بقوة السلاح ^(٤). فضلا عن وجود بعض العناصر الذين يعملون لصالح الاحتلال العملاء الذين يقومون بشراء المناصب ونهب وسرقة الناس والدولة ، فانتشر اسلوب الجنس والفساد والرشوة بشكل كبير في البلاد آنذاك الى ان تم اعلن الدستور العثماني عام (١٩٠٨م) الذي اعلن فيه الدولة العثمانية سياستها الجديدة اتجاه العراق وهي سياسة التتریک التي شرعوا من خلالها الى اضطهاد الناس واسعاع الظلم والفساد ونكلوا بالعرب وساقووا بحالهم الى ميادين القتال وقتلوا كثيرا ^(٥) من زعماء القبائل فتراجعت الشعور القومي في معظم الانحاء العربية .

^(١) دیوان الرصافی ، ۱، ۱ : وینظر مجم الشعرا العراقيین ، ۳۰۴.

^(٢) مجم الشعرا العراقيین ، ۳۰۴ .

^(٣) تاریخ العراق السياسي الحديث ، عبد الرزاق الحسینی ٤١/١٥

^(٤) ينظر : تاریخ العراق بين احتلاین ، عباس عزاوی (٣٣٠/٦٥)

^(٥) احداث عصرتها ، عبد الرزاق الحسینی ، ۱۰۳

• الحالة الاجتماعية :

يتتألف الشعب العراقي من قوميات مختلفة (عربية ، كردية) (ويعيش اغلب السكان آنذاك في قرى مبنية من الطين وفي خيام مصنوعة من الشعر والاکواخ المصنوعة من القصب ، كان اغلب السكان في القرن التاسع عشر من العشائر الذين يتمسكون بتقاليدهم وعاداتهم لحفظ على انفسهم من خطر الاحتلال وكانت احوال المجتمع متدينة بسبب الامراض التي فتك به ونخرت جسده وحالة التخلف والجهل والفقر ، اذ عم الفقر معظم سكان العراق الا فئات محدودة مثل التجار وشيوخ العشائر والاقطاعين ^(١) . ان الدولة العثمانية كانت عاجزة عن تطبيق الامن والمحافظة على الارواح والاموال فشاعت الفوضى جراء النزاع القبلي على نطاق واسع ^(٢) . وبسبب انكماش المجتمع على مثل وقيم اجتماعية قاسية لم تكن المرأة تعطى فيه بشرية كأنسان بل كانت تحت ظل تلك المثل لتعيش على هامش الحياة ^(٣) .

اما الحالة الصحية فكانت متدهورة بسبب اهمال السلطة لشؤون البلد لذلك غزت الامراض العراق في اكثر الاحيان ، بل كانت اكثر الامراض مستوطنة لم يجر علاجها مثل الملاريا والحمى الصفراء والتهيؤيد والجدري والكولييرا ^(٤) . ولم يكن هناك في بغداد الا مستشفى عام واحد اما الخدمات الطبية التي اعتادت الاعتماد على وجود المستشفيات والمستوصفات التي تديرهابعثات النشرية ضئيلة جدا في المدن وغير موجودة خارجها ^(٥) .

^(١) الشعر العراقي ، اهدافه وخصائصه ، يوسف عز الدين ، ٢١

^(٢) نظر : في طبيعة المجتمع العراقي ، د. علي الوردي ، ١٢٥

^(٣) ينظر : تاريخ العراق السياسي الحديث ، عبد الرزاق الحسيني

^(٤) الشعر العراقي الحديث والتغيرات السياسية والاجتماعية ، يوسف عز الدين ، ١٦

^(٥) المصدر السابق نفسه ، ١٧

• الحالة العلمية والثقافية :

ان الحالة العلمية والثقافية في العراق في تلك الحقبة تكاد تتحر في المساجد والمدارس القديمة وتتبع هذه المراكز طريقة الكتاب في تعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم ولو لا الدور الذي كان لرجال الدين في مساجد بغداد والبصرة والموصل والنجف الأشرف لقضي على اللغة العربية^(١). ولكن انشغال الدولة العثمانية بالحروب الكثيرة وتعصبها للغة التركية حال دون الوصول إلى أية عنابة مطلوبة من العلم بعد الاتراك عن اللغة العربية وعدم فهمها ، التي حالت دون الاطلاع على اسرارها فضلا عن التعليم في القبائل ما يزال منحصرا في افراد من الناس^(٢). وبعد الحرب العالمية الأولى عام (١٩١٤م) تعثرت الدراسة في معظم المدارس الحكومية والاهلية بسبب التحاقي اساتذتها بالجندية^(٣).

وفي حقبة الاحتلال الانكليزي على العراق تحسنت الاحوال من الناحية العلمية والاهتمام بالدراسة والتعليم على ما كان عليه في عهد الاحتلال العثماني ، فالعربي متغضش للثقافة والتعلم فإلغاء اللغة التركية واحتلال العربية محلها كان باعثا طبيعيا للاهتمام بالجانب الثقافي والعلمي في البلاد^(٤) ، فقد ذهب الكثير منهم للكتابة في حقل الادب والسياسة في العراق الحديث .

• الحالة :

العنف هو اول مصادر السلطة السياسية وابن ادواتها واكثرها وحشية ، ويعرف بأنه رد استخدام القوة والتهديد باستخدامها لأحقاق الاذى والضرر بالأخرين لتحقيق اهداف سياسية^(٥) ، وهو وسيلة للقضاء على المعارضة في مختلف نظم السيطرة ، وفي اغلب الاحيان (تلجا السلطة السياسية في الدولة الى اتخاذ قرارات سياسية معينة واتخاذ اساليب عنف غير محدودة للقضاء على معارضيها او من اجل فرض مبادئها السياسية على المجتمع او فئات معينة منه . ويشكل العنف ملماحا بارزا ويحاول التمرد عليها وقد يمتد بطشمها ليشمل افراد المجتمع عامة فتتحكم في اسلوب حياتهم وعملهم وعلاقاتهم الاجتماعية ، و اذا كان العنف ما هو

^(١) نشأة العراق الحديث ، هنري فورستر ، ت : طه التكريتي ، ٤٣٦/٢

^(٢) المصدر السابق نفسه ، ٢٣٧/٢

^(٣) المصدر السابق نفسه .

^(٤) الادب في صحفة العراق ، عند السماعي الكبيسي ، ٢١

^(٥) ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية ، د. حسين توفيق ابراهيم

مباشر معلن كالعنف الرسمي ... فهناك نوع آخر من العنف المعنوي خفي وغير معلن تستخدمه السلطة ولا تجاهر به يتمثل بالنيل من قيمة الانسان والحد من مصادر حرية السياسي والمدنية^(١).

قبل ان ندرس اثر المجتمع والسياسة في الشعر العربي في العراق في هذه الفترة (١٩٠٠ - ١٩١٩) ارى ان نرسم صورة لهذا المجتمع والمشكلات التي كانت تؤثر فيه فقد كان الوالي هو الحاكم المطلق الذي يدير سياسة الولاية ولوا انها كانت مصبوغة بالصبغة الاسلامية بيد ان للوالي الرأي الاول في امور الولاية وكانت سيطرته تشمل الولاية والرئاسة العامة على الجماعات مثل رئاسة البلدان والامراء والجيش والقبائل وما شابه ذلك اما السياسة الخارجية فقد كانت جزءا من سياسة الدولة العثمانية العامة التي تدار من قبل الاستانة مباشرة هذه الثمانى عشر من حكم الاتراك في العراق لم تكن الا لاستمرار حالة العراق في القرن التاسع عشر وتکاد تكون جزءا لا يمكن بتره عنه لو لا بعض اصلاحات (ناظم باشا) واثر اليقظة الفكرية المحدودة التي تسربت من اوربا ولو لا اثر الدستور العثماني كان العراق بلد متاخرا هيمن عليه الجهل وقد الامن والنظام ، مخرب الجوانب والجنایات وخير وصف لحالة العراق وهو وصف (صدى بابل) فقد وصفه بأنه بلد حاق الخراب به والظلم والخوف ولا ضطرا بونذكر الفوضى التي حلت به وكيف كانت ضواحي بغداد تسلب وتهب وتسرق وما حاف بالحياة الاخرى العامة من تأخر^(٢).

وقد لخصت هذه الجريدة حاجات العراق فردها امور راها اهم ركائز الاصلاح ، احدها الامان ، وثانيها العدل وثالثها العلم ، ولا ادرى ما ابقة الجريدة فهذا مختصر واف لحاجات البلد المتاخر ويجب ان اقول ان هذا التأخر الذي ساد العراق لم يكن غير جزء من تفسخ عام شمل جميع الامبراطورية العثمانية ، فقد كانت الولايات ومنها (بغداد) تبع وتشتري كأي بضاعة اخرى^(٣) ، وقد كان هناك سمسارة يتصلون بالراغبين في مثل هذه الصفقات فلا تستغرب ان انحصر الوالي في جمع المال الكافي للوصول الى الثراء العاجل فهو مسؤول عن دفع الهدايا مستمرة لأسياده في الاستانه وعليه ان يكون له اصدقاء يحافظون عليه وعلى مركزه كي يعزل ، فهو يبيح لنفسه الاستيلاء على الاموال واستيفاء الضرائب فيتخذوه الموظفون قدوة اذ يستوفون الضرائب دون ان يسجلوها في

^(١) ينظر : سيكولوجيا السلطة :٤٠، والسلطة والرمز ، بيربوردير ، ت : عبد السلام بن عد العالي ، دار تويق ، ط٣ ، ٢٠٠٧ ، ٥٠-٥١

^(٢) الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية ، تاليف الدكتور يوسف عز الدين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة (١٣٨٥-١٩٦٥م) ، ط١، ص٩.

^(٣)

السجلات وتبقى ديونا على ابناء الشعب لذلك انتشرت الرشوة بين الموظفين وتدنى بعضهم الى درجات مضحكة فأخذت تندد بهم جريدة (ابايل) في عددها الثامن والاربعين بنشر ابيات هزلية تسخر من هؤلاء المرتشين وطالبت بالإصلاح العام معتمدة على اعلان الدستور الذي من اهم موارده الاصلاح ومحاربة الارتشاء المنتشر في ارجاء الدولة^(١). والرشوة سبب من اسباب ضعف الدولة كالموظف المرتشي يكون ضعيفا خائفا لا يقدر على تطبيق النظام مما يساعد على انتشار الفوضى حتى ان الناس لم يكونوا بقادرين على ترك بيوتهم في المدن دون ان يحملوا معهم ما يقيدهم من اذى اللصوص وسطوة الناهبين والسلالبين بل تجرا اللصوص على السلب والسرقة العلنية^(٢) ، وقد وجدت عدة رسائل مفتوحة موجهة الى الوالي تشكونا ما حل بالولاية من اراقة الدماء وانتهاء الاعراض واغتصاب الحقوق وما عمها من خراب وفوضى ودمار^(٣) ، وما كانت شكاوى الاهالي بمجدية لان الوالي ومن بيدهم الامر هم اصحاب المنافع المباشرة وهم اساس هذه الفوضى والرابحون من جرائها وكثيرا ما ثاروا على الدولة وقطعوا علاقتهم بها وجروا على البلاد الدمار بحروبهم .

استمرت جميع مشكلات العراق التي كان يعاني منها في القرن التاسع عشر الى القرن العشرين ومن هذه المشكلات الاساسية قضية سكان العراق فقد كان اغلبهم من العشائر الذين لهم نضامهم الخاص بهم وكثيرا ما كانت هذه العشائر تتمنع باستقلال ضمن دائرة العشيرة اذ لم تتمكن الحكومة من السيطرة عليها بفعالية وكثيرا ما تثور العشائر على الحكومة فتنتشر الذعر والرعب في النفوس منتفعة من ضعف الحكومة في فرض اتاوات ، تهاجمها دون وازع من نظام يردعها وقد حاولت الحكومة العثمانية لأنها لم تكن تمهد لهم الوسائل الازمة ودون ان تبذل اي جهد لتضمن طاعتهم واحترامهم فلا عجب ان كانوا مصدر قلق عام للحكومة وللبلاد يضاف الى ذلك انهم كانوا مسلحين بأسلحة هي اجود واحسن من اسلحة الجيش الذي كان يذهب لقمع حركاتهم ولقد كانت المرأة بعيدة عن المجتمع العراقي فقد احتجزت في البيوت اذ لم يكن يسمح لها بالاختلاط مع الرجال وقد كان الوالد يريد ان يتخلص من ابنه مفضلا عليها الولد مهما كانت درجة فضلها وخلقها فقد كانت ممنوعة من تعلم المقرأة والكتابة كيلا توصلها الى اغراض فاسدة وقد كان لاضطراب المجتمع وقتل مثله العليا اثر في حياة الرجل الذي تفككت مثله العليا^(٤) . ولم يعد يردعه الوازع العليا الديني والخليقي عن ارتكاب

(١) (٢)
(٣) (٤)

الجرائم فالقبائل التي كانت تشن الغارات على المدن وال الإيرانيون يهددونها وموظفو الحكومة العثمانية نفسها كانوا يسبون النساء ويأخذون السبايا إلى الاستانة لذلك حرص القوم على إخفاء بناتهم خوفاً من العار والسي .

اما اللغة العربية التي كانت ممنوعة الاستعمال في الدوائر الرسمية حتى بعد صدور الدستور العثماني ، وكانت ترفض العرائض التي تكتب بها بيد ان (جريدة الرقيب) لم يرضها الحال فقارنت بين حال العراق وحال سوريا التي تجيز الاستعمال للغة العربية في الدوائر والمراجعات الرسمية فامر الوالي باستعمال العربية وقد يكون للوالي عذر في ان يكتب له باللغة التركية ليفهمها مباشرة دون ان تكون هذه الرغبة مدعاه لاستعمالها في جميع الدوائر وفي المحاكم لذلك فقد كان ابناء الشعب الوحيد يفضلون تعلم التركية لأنها السبيل الوحيد للتوظيف والعمل في مصالحة الحكومة فلا نعجب اذا وجدنا ان نسبة التعليم لم ترتفع عن (٥٠٪) في جميع انحاء العراق .

• النقد الاجتماعي :

(وهو نقد يعالج الصلة بين العمل الفني والادبي والمجتمع الذي نشأ فيه هو نقد له صلة وثيقة بالعلوم الانسانية التي تدرس الانسان بوصفه انسان ، كالفلسفة والتاريخ وعلم النفس ، ويدرس التطور الدائم والتناقض هو المداء الواقع لكل تطور وربط الانواع الادبية بالاتجاهات التي تنشأ فيها وتتفرع من منهج النقد الاجتماعي والنقد النفسي الايديولوجي كما اكد على ان النقد النفسي يسعى الى قراءة ما يمكن تحت السطح اي تحت اقنعة العمل الابداعي ، كما يعمل على نحو ما في استنباط الصراعات والصدامات التي مرت بحياة منهج العمل الفني والادبي) .

اما الاتجاهات النقدية الايديولوجية فهي تتبع من المنهج النقدي من السمة الايديولوجية وهو حضور شبة دائم في كل عمل ابداعي وهو نقد يتناول اشكال الحالات الايديولوجية في العمل الابداعي اما الاتجاهات النقدية هي لها انساق النقد الاجتماعي يحلل التركيبات الاجتماعية التي ينظر اليها على انها مهيّة ويهدف الى ايجاد حلول علمية لتدابير محددة ، واصلاح جذري او حتى تغيير جذري .

المبحث الثاني

- نقد حالة الخيانة والنجس .
- نقد حالة الظلم .
- نقد حالة التخلف السياسي .
- التخلف المجتمعي .
- نقد حالة الفقر .

• نقد حالة الخيانة والغدر .

ان الخيانة والغدر من الصفات الذميمة والتي يعاني منها المجتمع في تلك الحقبة ، وقد حاول الشاعر ان يقدم نقدا لهذه الحالة للكشف عن حالة الزييف والغدر في المجتمع .

وقد حذر الشاعر (من غدر الزمان وتبدل الاحوال فلم يعد الزمان زمانا ولا الاهل اهلا ولا الدار دارا ، فلم تعد للفرصة حياتها ، انقطعت الاواصر وستدور علينا الدوائر ، فالزمان وغد غدار متقلب ، وقليل هم المصلحون فيه الذين يحفظون الود الجميل) ^(١) . فقد كانت هذه الظاهرة من (اشد الافان التي تفتاك بالأمه وتحطيمها لاما لها وافسادا لشبابها فقد حرص المحتلون في كل زمان ومكان على التفرد بأصحاب النفوس الضعيفة الذين باعوا ضمائرهم وقتلوا روح الوطنية في نفوسهم لكي يصنعوا فئة من العملاء والخونة ، تتخر في جسد المجتمع وتنشر الفساد والرذيلة وتكون عين على الشرفاء والمصلحين ترصد تحركاتهم وهماتهم ضد اسيادهم) ^(٢) . وقد ابتلى كثير من الشعوب العربية بهذه الافة المشينة .

(انتشر الغدر والمكر نتيجة الانحطاط الاخلاقي في القرن التاسع عشر انتشارا عظيما واضحا الغدر عند البعض اسهل طريقة للوصول الى مصالحهم الراغبة في بلوغ مطامعهم بسرعة كبيرة) ^(٣) .

فالغدر من وجهة نظره (طبع اصيل في البشر لانهم يبلغون اهدافهم واغراضهم عن طريق هذا الطبع و اذا ما دعتهم اليه الحاجة نسوا الوفاء وطلبا المصالح والمطامع عن طريق الخيانة) ^(٤) .

فأضمر للسهم الغدر وانطوى على الحقد مدفوعا الى الغش والكذب ^(٥)

فقد كان لهذه الصفة التي تكاد تنتشر في المجتمع الذي يعاني من الاحتلال ، هذه افة الغدر والخيانة والتجسس الذي اثرت في المجتمعات عظيم الاثر وهي افة تقضي على العمل الحسن وعلى التكافل الاجتماعي بين افراده ، فین لنا في شعرة ليقدم نقدا لهذه الحالة التي تضر بالمجتمع وتقدمه .

^(١) الاتجاه الاجتماعي في الشعر الفلسطيني . ٦٧ .

^(٢) الاتجاه الاجتماعي في الشعر الفلسطيني . ٧٠ .

^(٣) النقد الاجتماعي في لزوميات ابو العلاء المعربي . ٢٧١ .

^(٤) النقد الاجتماعي في لزوميات ابو العلاء المعربي . ٢٧٢ .

^(٥) ديوان الرصافي (٣٩ . ٥) .

قد تخون ثلاثين عاما

جئت فيها لنا بكل محال^(١)

تلك اعواما وقعت بالاداني تلك اعواما حطة للاعلى

اكد الشاعر على الخيانة والتجسس ونقد هذه الحالة والعادة السيئة في المجتمعات وتأثيرها على تلك المجتمعات وتطور هذه الافة وتزايد تأثيرها على ابناء الامة .

(حقل النقد الاجتماعي للأدب كي يذلل صعوبات الطريق ويضع اللبنة الاولى السليمة لبناء ومعالجة نقدية لسيمة من تلك التساؤلات)^(٢) .

• نقد حالة الظلم .

فرغ الناس من البرهان على ان استقامة الحالة الاقتصادية في بلد من البلدان متوقف على العدل والسلم والامن (والامة العربية في هذه الفترة قد حرمت من العدل لأن دولاً تنقض حياتها في الحروب لم تستطع ان تقيم الحق واستئصال الباطل)^(٣) .

لو يكن الدهر سوقا راج باطلها مازجت الخمر في سوق التجارات^(٤)

نقد الشاعر في هذا البيت حالة الظلم في المجتمع وعكس وجود الخمر في الاسواق الى انتشار الظلم لهذه السلعة من تأثير في وجودها وانتشارها في المجتمع وهو يعكس حالة الكساد في الاسواق وانتشار ظاهرة البطلة بين افراده وهو من الظلم الذي حل بالمجتمع آنذاك .

فقد هاجوا على الدستور شرا بدار الملك كي يستعبدونا^(٥)

هم الاشرار باسم الدين قاموا فعاثوا في المواطن مفسدينا

تطرق الشاعر في هذه الابيات الى حالة الظلم التي يمارسها هؤلاء الساسة والذين يستخدمون الدستور كي يحققوا مصالحهم وقد كان الكثير منهم يستخدمون الدين ذريعة او وسيلة لتحقيق غاياتهم .

(ان مصطلح النقد الاجتماعي هو حديث نسبياً لكنه قديم من حيث الفكرة ، فهو يعني تفسير الأدب والظاهرة الأدبية في المجتمعات التي تنتجه وتستقبله وتنتهي له)^(٦) .

^(١) ديوان الرصافي (٨٨ . ٥)

^(٢) النقد الاجتماعي للأدب نشأته وتطوره ، محمد خاقاني ١٥٢ .

^(٣) النقد الاجتماعي في لزوميات أبي العلاء المعربي . ٢١٩ .

^(٤) ديوان الرصافي ، ٢ ، ٢٣٥ .

^(٥) ديوان الرصافي ، ٢ ، ٢١٩ .

• نقد حالة التخلف السياسي .

كان العراق في هذا القرن (مرتعاً للصوص وملجاً للعاهة فسادت حياة هذا العصر الفوضى وعم الاضطراب حتى تمنى أحد المؤرخين حاكم ظالم جائر مؤثراً ذلك على تخبط البلد في هذه الفوضى ، وانتشار الاضطراب في الحياة العامة ، لأن الادارة السيئة كانت نتيجة لوهن الدولة ، ومن المؤسف كان بعض الولاة يحرضون الاشرار على تعكير صفو الامن لكي يستولوا على ما بآيديهم)^(٣) . من الطبيعي ان بلداً يعاني من سوء الوضع الاقتصادي والاجتماعية والثقافية لا بد من ان يعاني من التخلف على المستوى السياسي (ان تنتهز القبائل ضعف السلطات فتنتفض وتثور وتهاجم المدن لتنتقم منها وتحكم في الناس ليدفعوا لها الاتوات التي تستحصلها منهم) . ونظام الادارة السيء قد شجع اللصوص على مهاجمة الموظفين انفسهم والاستيلاء على اموالهم (ان تدهور الاحوال السياسية في هذا العصر ادى الى انعدام الامن والاستقرار في البلد ففتح عنه سوء الاحوال الاقتصادية اذ اصبحت العامة تعاني الحرمان والفقر والانحلال وعزت الارزاق على الناس)^(٤) .

(بهذه الفوضى وهذه الاضطرابات انقلب المثل العليا التي كان المجتمع العراقي يقدسها في الماضي فاثر ذلك في الادب ، اوضح الاثار واظهر الاضطراب في مثل الشاعر وفي انها لكن على الوالي ومن بيدهم امر السلطان)^(٥) . فالشارع العراقي يعاني من الظلم والاضطراب (فكم من حملات شنت لتوطيد الامن وبائت بالفشل والخيبة ولم يكن الوالي يجد اسهل من اشاعة الفوضى والاضطراب لإخماد الثورة او تسليط القبائل للعبث بالأمن ، لذلك اعتكف الناس في دورهم وتظاهرهم بالفقر والمسكنة حتى يأمنون من اللصوص وجشع الولاة فتترك البيوت مهددة حتى لا تجلب انظار الوالي فيلحا الى مصادرتها وقتل أصحابها)^(٦) .

(كانت الحياة السياسية تعج بالفوضى والاضطراب وبالصراع والمنازعات وبالكيد والفساد وبالظلم والجور والاستبداد فتبادلت البلد الاسلامية ايدي الفاتحين

^(١) النقد الاجتماعي للأدب ونشأته وتطوره ، محمد الخاقاني : ١٥٦

^(٢) الشعر العراقي ، اهدافه وخصائصه ، د . يوسف عز الدين ، ١٢

^(٣) النقد الاجتماعي في لزميات ابي العلاء المعربي ، ٢٣٧

^(٤)

^(٥)

وتفاذه اهواه الغزاة المسيطرین ، فكانت احوال الناس ومقدراتهم بآيدي من لا يرحمون واموالهم نهبا بآيدي الساسة المتجررين)^(۱) .

عجبت لقوم يخضعون لدولة يسوسهم بالموبقات عميدها^(۲)

واعجب من اذ انهم يرهبونها ولموالها منهم ومنهم جنودها

لقد انعكس الوضع السياسي المتردي على النشاط الادبي للأدباء والشعراء آنذاك فقدم كل واحد منهم نصوصا ادبية رائعة تعكس رفضهم المستمر لهذا الواقع ، فهم يمثلون الطبقة المثقفة الوعائية التي يقع على عاتقها اعباء المسؤولية في توعية الامة والوقوف بوجه الظالمين .

قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به وسدوا على من حولهم منبع الرزق^(۳)

نقد الشاعر في هذا البيت القادة والزعماء الذين يستولون على منصة الحكم ويحاولون الاستيلاء على موارد الحكم لحاجاتهم الخاصة ولا يحق للشعب ان يحصل على ابسط حقوقهم وقد تكون مغتصبة من الطبقة الحاكمة .

(جاءت اسهاماتهم في هذا المجال مؤثرة في تطور النقد الاجتماعي كما جاءت مؤثرة في مفهوم النقد)^(۴) .

• التخلف المجتمعي .

كان اغلب سكان العراق في هذا القرن من العشائر الذين يعيشون على النظام القبلي مع بعض هذه العشائر استوطنت القرى والارياف (فمنها بقيت على عاداتها التقليدية القديمة كالاعتراض بالانتساب واتباع نظام خاص في جميع شؤونه الاجتماعية من زواج وطلاق وديات القتل واخذ الثأر ولم تفلح محاولات العثمانيين في توطيد العشائر لأنها لم تكن تستخدم لكي تحولهم من رعاة الى مواطنين دون ان تم لهم الوسائل كما تريده ودون ان تبذل اي جهد لتضمن طاعتهم واحترامهم لها على الرغم من تأثير هذه العشائر في حياة المجتمع العراقي في شن غارات على المدن وثورات على السلطات الحاكمة فقد بقيت ممتلكاتهم دون حل)^(۵) . في حين ترى ان سكان المدن (هم الجماعة المستقرة وكان بيدهم مقاليد التجارة وبعض الصناعات البدائية لسد حاجات العراق)^(۶) .

^(۱) النقد الاجتماعي في لزميات ابي العلاء المعري ، ۲۲۶

^(۲) شرح ديوان الرصافي ، ۲۰

^(۳) شرح ديوان الرصافي ، مصطفى علي ، ۳۵

^(۴) النقد الاجتماعي للأدب ، نشأته وتطوره ، محمد خاقاني ، ۱۶۳

^(۵) الشعر العراقي ، أهدافه وخصائصه . د. يوسف عز الدين : ۱۹

^(۶) المصدر السابق ، ۱۹

ولا تختلف حياة التعليم عن باقي نواحي الحياة الاجتماعية من حيث التأثر (فقد انكمش العلم في المساجد والمدن الدينية ولو لا مدارس النجف وبغداد المدنية وغيرها من المدن الاخر لقضي على اللغة العربية ، ففي هذا القرن شمل محيط العلم الجمود وابتعدت الدراسة عن الايثار وعاش الطلاب والمدرسون على تراث القديم وانصبوا عنايتهم على الشروح (شرح) على المؤلفات القديمة)^(١). كان النقد في مفهومه لدى الكثير من ادباء العراق في عشرينيات هذا القرن مفهوماً قلقاً وسلبياً ، اذ لم يكونوا قد تبيّنوا ولم يدركوا ابعاد العملية النقدية ومهماتها ومستلزماتها وهذا ناتج من سطحية الدالة التي حددها للنقد والانتقاد الذين كانوا متداولين كثيراً بالمعنى المعاصر لاصطلاح النقد ، تلك الدالة التي اقترن في اذهان الكثيرين بالمدلول العامي له والذين يقصد منه المدح وإظهار المساوى فقط^(٢).

(لم يكن العراق في القرن التاسع عشر مزدهراً من الناحية الثقافية بسبب عدم الاهتمام بالتعليم ومعاهده من قبل الدولة العثمانية ، فلم يبقَ امام الطلاب الا المساجد والمدارس الدينية التي كانوا يرتادونها ، وينهلوُن منها علوم اللغة العربية والدين ، بل ان هذه المدارس كانت محصورة في نطاق ضيق ولم تكن قادرة على ازالة الامية والحد منها)^(٣).

وانت يا جاهل قبل الممات
من يمدح ما بين البيوت
وعلى الجهل قضى بالعطب
 فهو في الناس دليل القلف^(٤)

يصف الشاعر حالة الجاهل بالميّت اي انه حال عديم النفاق او المتخلّف كالإنسان الميّت الذي لا يستفيد من وجوده شيئاً .

اذا ما الجهل خيم في بلادنا
رأيت اسودها مسخت قرودا^(٥)

في هذا البيت وصف لحالة التخلف والجهل وآثارها في البلاد التي يخيم عليها ، ووصف هذه الافة بتحويل خيرها وحسنها الى رديء .

ولم يصلح فساد الناس الا
بمال من مكاسبهم مشاع^(٦)

^(١) المصدر السابق نفسه ، ٢٠

^(٢) ينظر نقد الشعر العربي الحديث في العراق من (١٩٢٠ - ١٩٥٨) ، علي عباس علوان (٣٦).

^(٣) المصدر السابق نفسه (٢٠).

^(٤) ديوان الرصافي ١٦٤.

^(٥) ديوان الرصافي (٢) ١٧.

^(٦) المصدر السابق نفسه (١) ١٥ ، (١) ١٥.

نقد الشاعر في هذا البيت حالة فساد الامة وتخالفهم قد يكون من جراء افعالهم وما تجني ايديهم من هذه العادة السيئة .

وكتم للجهالة وهي تعش وعشتم كالوحوش اخس عيشا^(١)

يصف الشاعر حال الجاهل بانهم كالوحوش الذي لا يقنعه شيئا او قد يكون حالهم اضل من الوحش .

(اما في النقد الحديث نجد بعض الدعوات للاهتمام بالاتجاه الاجتماعي في النقد الادبي)^(٢) .

• نقد حالة الفقر .

ان مشكلة الفقر من المشكلات المترکزة في المدن العراقية فهي (مثل مشكلة الفلاح في الريف ، يعيش اغلبية الشعب العراقي في فاقه لا مثيل لها في العالم المتمدن فهم يحتاجون الى الطعام الضروري وعملية المسكن والملابس وبيوت الفقراء قذرة ، يعيش الفقراء جماعات متكتلة في غرف غير صحية مظلمة فاذا امطرت السماء امتلأت الدور بالأوحال والاطيان)^(٣) . وقد لا يغير الفقراء ثيابهم حتى تبلى (واكثرهم يستعمل ما يرد من واربا من الثياب المستعملة ولو لا النوم في الهواء الطلق وحرارة الصيف الذي تستمر لحوالى ستة اشهر فقتل كثيرا من الامراض وتغذى الجسم بالشمس لبلغت نسبة الوفيات اعداد هائلة ، وغالبا ما يموت المريض دون ان يراه الطبيب ، اما للضعف المادي او لعدم العناية به او يترك المريض للقضاء والقدر)^(٤) .

ولا يزال هؤلاء يطيبون مرضاهم بالتعاويذ والطلاسم والادعية .

وكان نسبه وفيات الاطفال كثيرة جدا واكثر الوالدين مصابين بأمراض معدية ، واذا استثنينا المدن الكبرى فلا تزال بعض اقضية العراق لا تعرف الكهرباء وغيرها من مستلزمات المعيشة .

(لقد كانت سبل المعيشة في العراق مختلفة باختلاف البيئات وهي لا تعدو سبل العيش في اي مجتمع متأخر غير مستقر في احواله السياسية فقد اثر الاضطراب السياسي تأثيرا سيئا فجعل من السكان طبقات مختلفة ليس فيها من الاغنياء الا

^(١) المصدر السابق نفسه (٢٠٢ ، ٢١٢) .

^(٢) النقد الاجتماعي للأدب ، محمد خاقاني ١٧٠ .

^(٣) الشعر العراقي الحديث ، يوسف عز الدين : ٢٦٧ .

^(٤) المصدر السابق نفسه (٢٦٨) .

التجار الكبار والملاك وشيوخ الاقطاع وهؤلاء الا جزء يسير من السكان)^(١) .
وكان الفلاح العراقي فريسة دسمة فهو على استعداد في الموسم وغير الموسم
الاستقبال الجبار غلاظ القلوب بل كان عرضة لما هو اشد من ذلك عندما تحتاج
الدولة الى المال في حربها فيطلب اليه ان يدفع قسما كبيرا من حصة الحكومة
قبل موسم الربيع وفي غيره والقليل يضطر الى بيع غلاته قبل او انها بثمن اقل
بكثير من تسعيرة الحكومة وكان التجار الذين لا ذمة لهم يتربون بهذا يشترون
بمثل ويساركون الدولة في ظلمها وكان غير الفلاح خاضعا لغيرها من الضرائب
التي لا حصر لها فقد كانت تفرض على الدور)^(٢) .

وكم من الناس من راح مندفعا بداعِ الجوع نحو القتل والسلب^(٣)

نقد الشاعر في هذا البيت حالة الفقر وما هي المخلفات التي تتركها هذه الافلة في
جميع المجتمعات في زمن ضعف الدولة وانتشار الحروب ، فان الفقر والجوع له
اثر واضح على ابناء الشعب .

وللفقر بين الناس وجه تبين به حسنات المرء وهي ذنوب^(٤)

يأثر الفقر على المراء من الناحية السلبية حيث ان الفقر يذهب حسنات المرء ،
هذه الحالة لا تسمح للصفات الجيدة بالتأكل على تصرفات المراء .

وقفوا موقفا به الفقر واغنى منه ثقلا المعيشة تشقي^(٥)

اكد الشاعر على مظاهر الغنى والفقير وتأثيرها على ابناء المجتمع في جميع
الفترات الزمنية وصعوبة المعيشة لعدد متطلبات الحياة وتأثير هذه الحالة على
افراد المجتمع .

^(١) الشعر العراقي السياسي في القرن التاسع عشر ، ابراهيم الوائلي (٨٢) .

^(٢) المصدر السابق نفسه ، (٨٣) .

^(٣) ديوان الرصافي (ج ٢، ١٧٤) .

^(٤) ديوان الرصافي (١، ٤٣) .

^(٥) ديوان الرصافي (٢، ٧٥) .

المبحث الثالث

- **الصورة الشعرية .**
- **الصورة التشخيصية .**
- **الصورة التجسيمية .**

• الصورة الشعرية :

لقدر حضي مصطلح الصورة الشعرية باهتمام النقاد القدماء والمحدثين لأنهم ادرکوا مانتها في العمل الادبي شعرا ونثرا وافردو لها حيزا واسحا في بحوثهم ودراساتهم .

الصورة الشعرية : وهي عنصر من عناصر العمل الادبي التي تدخل على تشكيل القصيدة^(١) .

• الصورة التشخيصية :

تعد الصورة التشخيصية من اهم الوسائل التي يستعملها الشاعر في بناء الصورة في النص الشعري او يستطيع من خلالها عكس الصورة الخيالية للواقع الذي تجسد في مخيلته للتعبير عن مكوناته اتجاه الواقع الاجتماعي الذي يعيشه فتجده (تعمق فيها المحسوسات وتبعث الحياة في الجماد وتثبت الروح في كل ما يتناوله الشاعر فيها)^(٢) . ومن خلال هذه الوسيلة فهو يحاول (خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجاذبة ، هذه الحياة قد ترتفق فتصبح حياة انسانية تشمل المواد والظواهر والانفعالات)^(٣) . والشاعر يحاول توظيف العناصر البلاغية البيانية في بناء النص الشعري في اضفاء الصفات الحسية على الجمادات واستطاقها ، فهو (اسباغ الحياة الانسانية على ما لا حياة له ، كالأشياء الجامدة والكائنات المادية غير الحياة)^(٤) .

والاستعارة التشخيصية مصطلح بلاغي مستحدث يعرف اصطلاحا في معجم المصطلحات الادبية بأنه (ابراز الجماد او المجرد من الحياة من خلال القدرة بشكل كائن متميز بالشعور والحركة والحياة)^(٥) .

وقد احتفى نقدنا الحديث بالتشخيص بوصفه وسيلة من وسائل تشكيل الصورة في الشعر القديم والحديث على حد سواء ، مدرکين اثره في الارتقاء بالخيال ، لذلك فقد عد بعض النقاد المحدثين (التشخيص اداة جوهيرية بل هي جوهر للصورة الشعرية)^(٦) .

^(١) ينظر : البنى الثابتة والمتغيرة في شعر الغزل ، د. شاكر هادي التميمي ٢٦٩ ،

^(٢) البناء الغني للصورة الادبية في الشعر ، علي علي صبح ، ٣٤ ،

^(٣) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ٦٣:

^(٤) المعجم الادبي ، حيدر عبد النور : ٦٧ ،

^(٥) المصدر السابق نفسه ، ٦٧ ،

^(٦) الصورة الشعرية عند ابى القاسم لشابي ، محدث سعد الجبار ، ١٨٩ ،

(الصورة التشخيصية)

وأخرجت زفات من جوانحها كالنار تصعد من اعماق احشاها

ان هذه القصيدة التي نقلها لنا الرصافي هي تمثيل للصورة التشخيصية حيث شخص هذه الزفات وشبهها بالنار التي تخرج من احشاها .

بكت من الفقر فصعدت مداعها واصفر كالورس من جوع محياتها

ان الشاعر يصور في هذا البيت الصورة التشخيصية في هذه القصيدة حيث ان الصورة التشخيصية واضحة في هذا البيت .

• الصورة التجسيمية :

يعد التجسيم من ارقى وسائل تشكيل الصور الشعرية عند الشعراء ويحاول الشاعر من خلال هذه التقنية الفنية توظيف العناصر الاستعارية في النص ، لابد ان المعاني الخفية والتعبير عن المشاعر المكنونة والاحاسيس المرهفة التي تكابد الشاعر ، فالعلاقة بين المعاني المجردة والشيء المحسّن المائل امام الحواس علاقة قوية في تشكيل الصورة البصرية لأن مصطلح التجسيم (يسعى الى جعل المعنوية حسية)^(١) . فكأنها بالتجسيم (تحول المعنوي المجرد من اللبوس والحدود المكانية الى حسيات ترى او تسمع او تلمس او تشم او تذاق)^(٢) .

والتجسيم عند (حازم القرطاجي) (فضلا عن كونه عنصرا من عناصر الصورة فانه وسيلة مهمة لتوضيح المعنى وجلائه فالذي ندركه بالحس هو الذي نستطيع تخيله اذ ليس ثمة تخيل منقطع عن الحواس)^(٣) ، وقد وردت الاشارة الى الاستعارة التجسيمية على انها اكتساب المعنويات صفات محسوسة مجسدة حيث تقدم الصورة الاستعارية الافكار والخواطر والعواطف في صورة مجسمة محسوسة)^(٤) .

وقد اهتم النقاد بهذه الوسيلة في بناء الصورة الشعرية ، فهي (الاسلوب المفضل في تصوير القرآن)^(٥) ، فمن خلالها يُعد (تجسيم المعنويات المجردة وابرازها اجساما او محسوسا على العموم)^(٦) ، ويرى بعض الدارسين ان (الصورة الادبية ما هي الا تجسيم للأفكار التجريبية والخواطر النفسية والمشاهد الطبيعية حسية كانت ام خيالية)^(٧) .

ونجد ان الصورة التجسيمية قد تجسدت في قول الشاعر :

الا ان وجه البصر بالنور ضاحك طليق وثغر الماء فيه شنين^(٨)

من خلال هذا البيت تطرق الشاعر الى الصورة التجسيمية حيث جعل للبصر جسم وروحية ، حيث وصف وجه البصر بالضاحك وصور الماء ايضا وجعل له جسم وثغر .

^(١) اسرار البلاغة ، ٣٠

^(٢) اساس البلاغة ، الزمخشري : ٩٤ ، ينظر للصورة الفنية معيارا نقديا ، د. عبد الله الصائغ : ٤١٧

^(٣) لسان العرب حمادة (جرد)

^(٤) منهاج البلاء : ٩٩ - ٩٨

^(٥) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ٦٣

^(٦) المصدر السابق نفسه .

^(٧) النقد التطبيقي والموازنات ، د. محمد صادق عفيفي : ١٤٢

^(٨) ديوان الرصافي ، ج ١، ٤٠

ولل الفقر بين الناس وجه تبين به حسنات المرء وهي ذنوب^(١)

اراد الشاعر في هذا البيت على الصورة التجسيمية حيث جعل الفقر وجه ، حيث جعل الفقر عبارة عن جسم وله وجه .

تراسل الحواس : وقد يعمد الشاعر لتوظيف الصورتين او اضفاء صفات حاسة من الحواس بصفات مدركات حاسة اخرى لتعطي النص اسلوب فني رائع في التعبير عن الصورة الخيالية والذهنية التي يسعى لتوظيفها في شعرة (فوصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الاخرى فتعطي المسموعات الوانا ، وتصير المسموعات انغاما وتصبح المرئيات عطرة وذلك ان اللغة في اصلها رموز اصطلاح عليها لتثير في النفس معاني وعواطف خاصة)^(٢)

وقد وردت في كتب النقاد المحدثين انها (وصف مدركات حاسة من الحواس بصفات مدركات حاسة اخرى ، فتعطي للأشياء التي ندركها بحاسة السمع صفات الأشياء التي ندركها بحاسة البصر ، ونصف الأشياء التي ندركها بحاسة الذوق بصفات الأشياء التي ندركها بحاسة الشم وهكذا حتى تصبح الاصوات الوانا والطعم عطورا)^(٣) .

فالعين هي التي ترى لا الاذن ليبدو ان طغيان شعور الاذن بشيء قد يصل مستواه في احساس الشاعر (بتراسل معطيات الحواس في الصورة الشعرية تتراءى بعض العلاقات الطبيعية التي تربط بين عناصر الواقع لتحل محلها علاقات اخرى مرادها الى ذات الشاعر)^(٤) .

^(١) ديوان الرصافي ، ج ١، ٤٠

^(٢) النقد الادبي الحديث ، د محمد غيمي هلال ، ٣٩٥

^(٣) عن بناء القصيدة الادبية الحديثة . د. علي عندي زايد ، ٣٣٨

^(٤) الرمز والرمزية في الشعر ، محمد فتوح احمد ، ٣٣٨